شيعيا لاحقا ، شيء من التساهل تجاه كتاب المسلمين المقدس ٠

مع استمرار الصراع ضد الامويين كانت المذابح تتوالى ضد الشيعة وائمتهم فتثير سؤالا مصحوبا بشيء من الدهشة عن موقف المسلمين ٠ ورغما عن ان هذا السؤال قد يتخطى الامويين الاوائل المشكوك في ايمانهم فانه يبقى محوما حول الايدي المنفذة ، حول الجهاز الضخم من المؤمنين العاملين في معية بني امية او المتعاونين معهم ٠ وقد جاء السؤال مبكرا في صيغة شكوى جأر بها حجر من عدى (٢) ٠٠ اللهم انا نستعديك على امتنا فأن اهل العراق شهدوا علينا واهل الشام قتلونا ٠ وحين يقول عبد الله بن عمر لنفر من مسلمي العراق استفتوه في جواز قتل البعوض : تسفكون دم الحسين وتسألون عن دم البعوض ٠ فأنه يعبر عن شعور مر بالمفارقة كان يعتمل احيانا خارج الوسط الشيعي ٠ وبظهور العباسيين دخل السؤال نقطة التازم ، فالخلفاء الجدد من بني هاشم اى فصيلة من اهل البيت ليست بالضرورة اقل تمثيلا للدين من ائمة الشيعة ، وقد اعلنت الخلافة ممثلة في اوائل خلفائها حربا ضارية على الزندقة تساوقت مع حربها ضد الشيعة ضمن تاكيدها للحقيقة الدينية التي ينطوي عليها مجيء العباسيين الى الحكم ٠ ويجسد هذا الاحساس بالتازم الفقيه المعارض سفيان الثوري حين يقول وقد بلغه مقتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسن (٣) : لن تقبل الصلاة بعد اليوم ، معبرا عن الاحتجاج ضد هذا المد الدموي الذي بدأته الخلافة العباسية ضد كل الناس وعن اليأس من هذه الامة التي انقسمت بين قاتل ومقتول ومتفرج ٠ ويتحول السؤال الى ادانة على لسان ثائر زيدى يدعى بشير الرحال كان يأتي الى المسجد فيخاطب المنبر (٤) :

« عليك ايها المنبر وعلى من حولك لعنة الله ٠ فوالله لولاك لما عصي الله في ارضه » ٠

ويبدو هذا الخطاب محيرا للمؤرخ الذي يعسر عليه ان يتصور كيف تكون بيوت الله في عز الاسلام هي السبب في عصيان الله ؟ لكننا بازاء موقفين : مسجدي ، واجتماعي يؤكد الثائر الزيدي ، بداية انفصامهما البالغ حد التلاعن قبل أن يتفاقم ليصل الى ضرب الحجر الاسود بدبوس على يد باطني من مصر وهو يخاطبه بهذه الصيغة المهينة : « الى كم تعبد في الارض وآل محمد لا يظهرون ؟ » ٠

« تعطينا هذه المقتربات التي شكلت خلفية النشاة الشيعية وتأزمها من خلال الصراع اساسا لفهم تلك الاتجاهات التي توطدت خارج الخط السلفي على يد الفرعين الكبيرين للشيعة : الامامي والاسماعيلي ، من دون الزيدية ، التي انزوت بعد حين في موقع معتدل شبه سلفي ٠ وننظر الان في ثلاثة مواقف للشيعة في هذا المجال هي :